

بكير صدق

على فهمى جابيج

السعادة الزملاء والمستمعين الاعزاء

يسرنى ان احضر اليوم هذه الندوة التى تنظمها مكتبة الغازى خسرو بك بسراييفو. كما يسعدنى فى نفس الوقت ان تكون هذه الندوة وسيلة للتعرف بالباحثين وتبادل الافكار بين العاملين، المسلمين منهم وغير المسلمين فى حقل التراث العلمى والحضارى للمسلمين عامة والمسلمى البلقان ومسلمى البوسنة والهرسك على وجه التخصيص.

ويشرفنى فى البداية ان احيى مكتبة الغازى خسرو بك والعاملين فيها على مبادرتهم بهذا العمل الجليل، وان اوجه خالص الشكر لمنظمى الندوة المذكورة على اهتمامهم بتحقيقها.

وانتهز هذه المناسبة لأن اقدم احر التهانى على ذلك النجاح الباهر واصدق التمنيات بالمزيد؛ فاننا لازلنا فى أمس الحاجة الى معرفة ما قام به الذين سبقونا حتى نكون خير خلف لخير سلف.

ان المسلمين فى البوسنة والهرسك لهم مساهمة عظيمة فى تطور الحضارة الاسلامية فى تاريخ المسلمين، ولهم علماء اجلاء ذاع صيتهم فى بلادهم وخارج بلادهم واشتهروا بمؤلفاتهم فى اللغة العربية وادبها وسائر العلوم الاسلامية. ومنهم على فهمى جابيج الذى اخترته موضوعا لبحثى فى هذه الندوة والذى له - كما قال خانجيج - فى الدفاع عن الاسلام مقام يحمد عليه، كما سنرى فيما بعد.

ولد على فهمى جابيج، الشهير بجابى زاده بمدينة موستار سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة والف. وكان ابوه شاكرا أفندى مفتى المدينة المذكورة. أتم دراسة اللغة العربية وادبها واللغة التركية والعلوم الاسلامية فى مدرسة من مدارس موستار. وكل ما أخذ من العلم انما اخذه من علماء بلده وكان عالما جليلا مطلعاً على العلوم الادبية، فاضلاً متمكناً من اللغة العربية، صاحب تقرير وتحبير.

وكان مصطفى صدقى قراييك مفتى موستار قد صرح بان محاولات الشعب الثائر بقصد شن الحرب على دولة النمسا اثناء قيامها بضم البوسنة والهرسك الى اراضيها (١٨٧٨) ليس تصرفا معقولا وان الانتصار على الدولة المستعمرة كدولة النمسا القوية انما هو أمر مستحيل، فكانت النتيجة بان قام الشعب الثائر آنذاك بالهجوم عليه فى مقره الرسمى فاستشهد وجاء بدلا منه شاكر افندى الدجاييج، الا انه توفى هو الآخر عام ١٨٨٦م، وجاء بدلا منه جاييج، مفتيا على موستار، وكان ما يزال فى ريعان شبابه. فقام بوظيفته فى الافتاء، كما كان يقوم بالتدريس فى الوقت ذاته.

وقد رأينا جاييج بعد عام ١٨٩٩ يدخل فى مجال السياسة، اذ كان المسلمون فى البوسنة والهرسك قد شرعوا فى تشكيل تنظيم من اجل الظفر بحياة دينية وعلمية مستقلة، فجاء جاييج على رأس تلك الحركة. ولهذا السبب فقد اعلنت الحكومة عن عصيانه، فعزلته من منصب الافتاء (١٩٠٠م). ولما قطع القائمون على «حركة الاستقلال الدينى والعلمى» آمالهم فى الوصول الى النتيجة التى شاءوها بعد معارضة الادارة المستبدة لحركتهم قرروا ان يشكلوا هيئة من ستة اشخاص وعلى رأسها جاييج لتذهب الى استانبول، وعلى هذا النحو استطاع جاييج ان يصل استانبول عام ١٩٠٢، ويواصل منها حركته فى الاستقلال الذاتى التى بدأت فى موستار.

غير ان جاييج الذى جاء الى استانبول لهدف سياسى بحث وجد نفسه بين مكتباتها الثرية وبين طبقة عريضة من علماء الافاضل. وقد استطاع خلال فترة وجيزة ان يحظى بتقدير واحترام الكابر العلماء فى محافظتها العلمية آنذاك، حتى اصبحت داره منتدى لأحاديث العلم يتردد عليها خيرة من العلماء، فكانت - اذا جاز التعبير - الكاديمية العلمية مصغرة. وبدأ يدرس عليه استاذة دار الفنون (الجامعة) انفسهم، وكان الشاعر المشهور عاكف واحداً منهم.

ولم يكن كتاب المبدّر (٨٢٦-٨٩٨) المعروف باسم «الكامل» قد درّس حتى ذلك الوقت فى استانبول، فبدأ هو تدريسه مما جعله يحظى اكثر واكثر بتقدير الاوساط العلمية فى استانبول. ويقول محمد خانجيج ان درس «الكامل» من اوله الى آخره، وانه كانت له تعليقات عليه (الجوهر الأسنى، ١٠٧).

وكان جاييج - فى تلك الاثناء - يُعدُّ لكتابين ذاعت بهما شهرته، حتى استطاع بذلك ان يفرض نفسه على الاوساط العلمية فى استانبول، وان يُعَيَّن بعدها استاذاً لكرسى اللغة العربية وآدابها. واذا نظرنا الى

الكلمة التى القاها الشاعر محمد عاكف أرسوى وهو يقدمه لطلاب الجامعة واستاذتها لأدركنا انه عين فى تلك الوظيفة قبل تأليف كتابيه.

وقد ظل يعمل فى الجامعة حتى عام ١٩٠٨، اى انه مكث فيها عامين. وكانت اجتماعات «مجلس المبعوثان» العثمانى قد بدأت فى تلك الاثناء، فقام جابيج بنشر إعلان باللغة العربية، جاء فيه: «ان هذا إخطار نقدمه للسادة مبعوثى البلدان العربية المحترمين فى «مجلس المبعوثان» العثمانى حتى يعلموا الوجه الحقيقى للوضع فى البوسنة والهرسك. لأننى أعلم ان الغالبية منهم لا يعلمون شيئاً عن الوضع فى بلادنا، تماماً كما لا نعلم نحن شيئاً عن بلادهم. فى حين ان الوضع الحقيقى فى البوسنة والهرسك...»

ولم تكن تلك الاعلانات الكتابية التى قدمها جابيج للرأى العام شيئاً يوافق سياسة الباب العالى آنذاك، فجرى استبعاده من وظيفته فى الجامعة.

وعاش جابيج بعد ذلك فى استانبول حياةً بائسة الى ان توفى فى ١٢ اغسطس عام ١٩١٨، ودفن فى مقبرة «ادرنه قابى» فى استانبول.

مؤلفاته:

١- حسن الصحابة فى شرح أشعار الصحابة:

وقد طبع المجلد الاول منه فى (مطبعة روشن) فى استانبول عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ويقع فى ٣٦٢+١٤ صحيفة. وتضم الصفحات الاولى (١٤ صحيفة) منه الفهرس وجدول الصواب والخطأ وثلاثة تقريظات، وجميع تلك الصفحات بغير ارقام. والتقريض الاول للحاج خالص افندى وكيل الدروس، اما الثانى - وهو منظوم - فقد وضعه مدرس الحديث التونسى فى الجامعة محمد مكى بن عزوز، والثالث لأحمد شاکر الحسينى عضو مجلس المعروف العالى. والتقريضان الأولان لا يحملان تاريخاً، بينما يحمل الثالث تاريخ شهر رجب عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م). اما تاريخ الانتهاء من تأليف الكتاب نفسه فهو ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، وتاريخ الطبع هو ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) مما يشير الى وجود خطأ فى احد التاريخين. والارجح لدنيا تاريخ الانتهاء من التأليف.

ويبدأ الكتاب بخطبة تقع فى ست صفحات، على درجة عالية من براعة الاسلوب؛ إذ اقتبس فيها الآيات وصاغها بشكل رائع يمكن ان يكون مثلاً على فن الاقتباس. وقد ذكر المؤلف فى نهاية الخطبة انه شاء ان يجعل كتابه فى ثلاثة مجلدات، وان ترتيب الاشعار سوف يكون ترتيباً

هجائياً يسير تبعاً لحروف القوافى، وإن المجلد الاول سوف يضم الاشعار التى تنتهى قوافيها بحرف الهمزة حتى حرف الدال، بينما يضم المجلد الثانى حرف الراء حتى حرف اللام، اما الثالث فسوف يضم الاشعار من حرف اللام حتى حرف الياء فى نهاية حروف الهجاء. ونرى به مقدمة تنقسم الى ثلاثة اقسام؛ يضم الاول منها تعريفاً للصحابى، ويضم الثانى شرحاً للسبل التى تهدينا لمعرفة اى صحابى كان، اما القسم الثالث فهو يشير الى ان الصحابة أناس يوثق بهم (عدول).

ويبدأ الباب الاول فى الكتاب باشعار حسان بن ثابت التى تنتهى قوافيها بحرف الهمزة مع شرح لتلك الاشعار.

ولم يطبع من ذلك الكتاب الا المجلد الاول، اما المجلدان الثانى والثالث فلا نعرف شيئاً عن مصيرهما.

٢- طلبه الطالب فى شرح لامية ابى طالب:

طبع ذلك الكتاب فى مطبعة (روشن) باستانبول عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، ويقع فى ٧٧ صحيفة. ويضم مقدمة طويلة بالقياس الى الكتاب. ويروى فيها كيف ان النبى صلى الله عليه وسلم ولد بعد وفاة والده ثم توفيت امه وهو فى السادسة من عمره، وكيف انه اصبح يتيماً بمعنى الكلمة، وان جده عبد المطلب وضعه - لهذا السبب - تحت رعايته، ثم لما توفى جده اخذه عمه ابو طالب فى كنفه، فلما أعلن نبوته غضبت وجوه قريش وتشددت إزاءه مما وضع ابا طالب فى موقف حرج، ثم نظم ابو طالب قصيدته اللامية المعروفة. ثم يذكر المؤلف فى النهاية ان تلك هى القصيدة التى سيقوم بشرحها.

وتبدأ تلك القصيدة بالبيت التالى:

ولما رأيت القوم لاود عندهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

ونفهم من خاتمة الكتاب أن المؤلف فرغ من تأليفه فى الثامن من شهر رمضان عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩/١١/٢٥م).

ونلاحظ فى كلا الكتابين ان المنهج الذى جرى المؤلف فى الشرح هو نفس المنهج المستخدم فى شرح النصوص القديمة. ورأينا ان خلوه من عنصر النقد لا يعد انتقاصاً من قيمته، فالقصد من الشرح هو وضع يد القارئ على القيمة الشعرية للنص من ناحية اللغة والمعانى والبيان والبيدع وغيرها من علوم البلاغة، ثم شرح اسباب النظم والوقوف على الجو الذى نظم فيه وابرز محتواه. ونرى ان المؤلف قد وفى تلك العناصر حقها فجاءت مكتملة لا انتقاص فيها. ويدلنا ذلك بوضوح على

ان جابيج واقف على اللغة العربية وآدابها، وله معرفة جيدة وعميقة بتاريخ الادب وتاريخ العرب العام. وقد كتب جابيج مع ديزدار مقدمةً للhashية التي كتبها (مصطفى صدقى قرابيك) على مرآة الاصول.

وقد كتب الشاعر محمد عاكف أرسوى مقالة نشرها فى مجلد «صراط مستقيم» عن جابى زاده ومؤلفاته، ولست ادرى هل يوجد عندنا شىء غيرها أم لا يوجد، وكل ما أعرفه اننى سمعت الاستاذ ماهر عز يتحدث عنه مرات عديدة ويقول انه رآه وتحدث معه، وكان يمدحه ويعرب عن اعجابه به.

المراجع:

1. Mehmed Handžić, Književni rad Bosanskohercegovačkih muslimana, Sarajevo, 76-78.
2. Muhammed Emin Dizdar, Sarajevski List, 201, XLI/1918, 4.
3. Ibrahim Mehinagić, Glasnik, IV, VII, 1936; Anali Gazi Husrevbe-gove biblioteke, II, III, Sarajevo, 1974, 81-95.
4. Hazim Šabanović, Književnost Muslimana BiH na orijentalnim je-zicima, 1973, 609-616.
5. Glasnik IVZ, 1-3, 1956, 24.
6. محمد بن محمد بن صالح بن محمد البوسنوى المعروف
بالخانجى، الجوهر الانسى فى علماء وشعراء بوسنه، مصر ١٣٤٩،
١٠٩-١٠٦.
7. Mehmet Akif (Ersoy), Sırat-ı müstakim, 13, İstanbul, 1324 H., 198, 199.

ALI FEHMI DŽABIĆ

Ali Fehmi Džabić, rođen u Mostaru 1853. godine, spada u grupu zas-lužnih Bošnjaka poznatih po svom naučnom i političkom radu. Temeljno obrazovanje iz arapskog jezika i književnosti, turskog jezika i književnosti i islamskih nauka stekao je u rodnome gradu. Još kao veoma mlad, nakon očeve smrti 1886. godine, postavljen je za mostarskog muftiju, zamijenivši tako oca na tome položaju. Istovremeno se bavio i nastavničkim poslom.

Međutim, od 1899. godine uključuje se i u politički rad kroz pokret za vjersku autonomiju muslimana, zbog čega 1900. godine gubi položaj mos-tarskog muftije. Zbog toga u delegaciji od šest članova 1902. godine odlazi u Istanbul da bi tamo natavio započetu borbu. Međutim, u Istanbulu se upoz-

naje i sa bogatim istanbulskim bibliotekama i poznatim naučnicima. Tako ubrzo kuća u kojoj je stanovao postaje stjecištem istaknute istanbulske uleme među kojima je bio i čuveni turski pjesnik Mehmed Akif Ersoy. Ubrzo potom i sam Džabić počinje sa predavanjem poznatog al-Mubarradovog djela iz arapske gramatike *al-Kāmil*. Kako navodi Mehmed Handžić na ovo djelo Džabić je napisao i glosu (*al-Ğawhar al-Asnā*, 107).

Pročuvši se po svojoj učenosti, Džabić ubrzo biva postavljen za profesora arapskog jezika i književnosti na Istanbulskom univerzitetu. Međutim, zbog proglasa koji je napisao na arapskom jeziku o stanju muslimana u Bosni i Hercegovini pod austro-ugarskom vlašću, Džabić 1908. godine biva udaljen iz službe sa Univerziteta. Od tada živi skromnim i povučenim životom u Istanbulu sve do smrti 12. avgusta 1918. godine.

Iza sebe je ostavio dva djela: *Husn aṣ-Ṣaḥāba fī Ṣarḥ ‘Aš‘ār aṣ-Ṣaḥāba* čiji je prvi dio sa uvodom štampan u Istanbulu 1906. godine. O sudbini drugog i trećeg dijela ovoga djela koji se spominju u uvodu, ništa se ne zna. Drugo djelo je *Ṭalaba at-Ṭālib fī Ṣarḥ Lāmiya Abī Ṭālib* koje je, također štampano 1909. godine. Prema bilješci u kolofonu djela autor ga je napisao iste godine kada je i štampano.